الباب الثالث

خطب الخلفاء الراشدين

obeikandl.com

obeikandl.com

خطب أمير المؤمنين أبى بكر الصديق ﷺ

• أخرج ابن سعد والمحاملى وغيرهما عن عروة قال: لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس! قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبى ﷺ السنن فعلمنا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق؛ أيها الناس! إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينونى وإن زغت[١] فقومونى[٢]، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم؛ كذا فى الكنز (ج٣ ص١٣٠).

• وأخرجه الدينورى عن عبد الله بن عكيم قال: لما بويع أبو بكر صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبى ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اعلموا أيها الناس! أن أكيس الكيس- فذكر نحوه وزاد فى آخره: وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولايدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء، فأطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم؛ كذا فى الكنز (ج٣ ص١٣٥).

• وأخرجه البيهقى (ج٦ ص٣٥٣) عن الحسن- فذكر بعض ما تقدم وزاد بعد قوله: أحمق الحمق الفجور، ألا! وإن الصدق عندى الأمانة والكذب الخيانة، وزاد بعد قوله: ولست بخيركم؛ قال الحسن: هو والله خيرهم غير مدافع ولكن المؤمن يهضم[٣] نفسه، وزاد: ثم قال: ولوددت أنه كفانى هذا الأمر أحدكم؛ قال الحسن: صدق والله وإن أنتم أردتمونى على ما كان الله يقيم نبيه من الوحى ما ذلك عندى إنما أنا بشر فراعونى.

• وأخرجه أبو ذر الهروى وابن راهويه كما فى الكنز (ج٣ ص١٢٦) عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب فقال: أما والله! ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامى هذا كارها ولوددت أن فيكم من يكفينى، أفتظنون أنى أعمل فيكم بسنة

---

(١) عدلت عن الطريق. (٢) فسددونى. (٣) أى يضع من قدره تواضعا.

رسول الله ﷺ ؟ إذن لأقوم بها أن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحى وكان معه ملك وإن لى شيطانا يعترينى، فإذا غضبت فاجتنبونى أن لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعونى فإن استقمت فأعينونى وإن زغت فقومونى؛ قال الحسن: خطبة والله ما خطب بها بعده.

• وأخرجه أبو ذر الهروى فى الجامع عن قيس بن أبى حازم مختصرا، كما فى الكنز (ج٣ ص١٣٦)؛ وفى روايته: وإنما أنا بشر أصيب وأخطئ فإذا أصبت فاحمدوا الله وإذا أخطأت فقومونى.

• وأخرجه أحمد أيضاً عن قيس بن أبى حازم قال: إنى لجالس عند أبى بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاته بشهر قال- فذكر قصة فنودى فى الناس: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر شيئا صنع له كان يخطب عليه وهى أول خطبة فى الإسلام، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! ولوددت أن هذا كفانيه غيرى، ولئن أخذتمونى بسنة نبيكم ما أطيقها، إن كان لمعصوما من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحى من السماء. قال الهيثمى (ج٥ ص١٨٤): وفيه عيسى بن المسيب البجلى وهو ضعيف- أهـ. وقد تقدم (ج٢ ص١٧) من ذلك الخطبة من طريق عيسى بن عطية عند الطبرانى قال: يا أيها الناس! إن الناس قد دخلوا فى الإسلام طوعا وكرها فهم عواذ الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لايطلبنكم الله بشىء من ذمته فافعلوا، إن لى شيطانا يحضرنى فإذا رأيتمونى قد غضبت فاجتنبونى لأمثل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيها الناس! تفقدوا ضرائب غلمانكم أنه لاينبغى للحم نبت من سحت[1] أن يدخل الجنة.

• وأخرجه الطبرى فى التاريخ (ج٢ ص٤٦٠) عن عاصم بن عدى قال: نادى منادى أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتم بعث أسامة: ألا! لايبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس! إنما أنا مثلكم وإنى لا أدرى لعلكم ستكلفونى ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعونى

(١) حرام.

وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا! وإن لى شيطانا يعترينى، فإذا أتانى فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن لايمضى هذا الأجل ألا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد والوحا[١] الوحا والنجاء النجاء! فإن وراءكم طالبا حثيثا[٢] أجلا مره[٣] سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا[٤] الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

• وأخرج ابن زنجويه فى كتاب الأموال عن سعيد بن أبى مريم قال: بلغنى أنه لما استخلف أبو بكر ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه والله لولا أن تضيع أموركم ونحن بحضرتها لأحببت أن يكون هذا الأمر فى عنق أبغضكم إلىَّ ثم لا يكون خيرا له ألا أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك، فاشرأب[٥] ورفعوا إليه رءوسهم فقال: على[٦] رسلكم، إنكم عجلون؛ إنه لن يملك ملك قط إلا علم الله ملكه قبل أن يملكه فينقص نصف عمره وتوكل به الروع والحزن ويزهده فيما بيده ويرغبه فيما بأيدى الناس فتضنك[٧] معيشته وإن أكل طعاما طيبا ولبس جيدا حتى إذا أضحى ظله وذهبت نفسه وورد إلى ربه فحاسبه فشد حسابه وقل غفرانه له، ألا! إن المساكين هم المغفورون، ألا! إن المساكين هم المغفورون، ألا! إن المساكين هم المغفورون؛ كذا فى الكنز (ج٣ ص١٦٢).

•وأخرج أبو نعيم فى الحلية ج١ ص٣٥ عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا

---

(١) السرعة السرعة وكذلك النجاء النجاء. (٢) سريعا.

(٣) كذا فى الأصل، وفى البداية (ج٦ ص٣٠٣) أمره سريع.

(٤) الغبط حد خاص، يقال: غبطت الرجل أغبطه غبطا- إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ما له وأن يدوم عليه ما هو فيه، وحسدته أحسده حسدا- إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وأن يزول عنه ما هو فيه.

(٥) أى رفع رأسه لينظر.

(٦) الرسل بالكسر الهينة والتأنى، قال الجوهرى: يقال افعل كذا وكذا على رسلك، بالكسر- أى اتئد فيه، كما يقال: على هينتك.

(٧) تضيق.

أبو بكر ﷺ فقال: أما بعد! فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو له أهل وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف[١] بالمسألة، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢]. ثم اعلموا عباد الله! إن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله وانتصحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله! إنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا النجاء النجاء! إن وراءكم طالب حثيث أمره سريع.

• وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وهناد والحاكم والبيهقى بمثله، وروى بعضه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل؛ كما فى الكنز (ج٨ ص٢٠٦).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص٣٥) عن عمرو بن دينار قال: خطب أبو بكر ﷺ فقال: أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفارا- فذكر نحو حديث عبد الله عكيم وزاد: واعلموا أنكم ما أخلصتم لله عز وجل فربكم أطعتم وحقكم حفظتم فأعطوا ضرائبكم فى أيام سلفكم واجعلوها نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نسو ونسى ذكرهم فهم اليوم كلا شيء فتلك بيوتهم خاوية[٣] بما ظلموا وهم فى ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا[٤] ، وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدموا فجلوا الشقوة والسعادة، إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، وأنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

---

(١) الإلحاح.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٠.
(٣) ساقطة وخالية.
(٤) الصوت الخفى.

وعنده أيضاً عن نعيم بن نمحة قال: كان فى خطبة أبى بكر الصديق ﷺ: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون فى أجل معلوم- فذكر نحو حديث عبد الله عكيم وزاد: ولا خير فى قول لا يراد به وجه الله تعالى ولا خير فى مال لاينفق فى سبيل الله عز وجل، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم؛ كذا فى حلية أبى نعيم (ج١ ص٣٦).

• وقد أخرج هذه الخطبة الطبرى فى تاريخه (ج٢ص٤٦٠) عن عاصم ابن عدى بإسناد فيه سيف فذكر أولا خطبة أخرى كما ذكرناها ثم قال: وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وخطأ ظفرتم به وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب؟ قد تضعضع[1] بهم الدهر وصاروا رميما قد تركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا كلا شىء، ألا! إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا وإن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم فى ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا! إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا، ولا يصرف عنه به سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما! أنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة.

---

(١) أى أذلهم.

• وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الحذر وابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول: الحمد لله رب العالمين، أحمده ونستعينه ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فإنه قد دنا أجلى وأجلكم، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا، أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع ولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق، وإياكم واتباع الهوى! قد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب، وإياكم والفخر! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ثم يأكله الدود ثم هو اليوم حى وغدا ميت، فاعملوا يوما بيوم وساعة بساعة، وتوقوا دعاء المظلوم، وعدوا أنفسكم فى الموتى، واصبروا فإن العمل كله بالصبر، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يقبل، واحذروا ما حذركم الله من عذابه.

وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا تفهموا، واتقوا توقوا، فإن الله تعالى قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم، قد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الأعمال وما يكره، فأنى لآلوكم ونفسى والله المستعان ولاحول ولاقوة إلا بالله، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا بسلفكم وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت، إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا، ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير فى خير بعده النار، ولا شر فى شر بعده الجنة، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وصلوا على نبيكم ﷺ ورحمة الله وبركاته؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٦).

• وأخرج أبو الشيخ عن يزيد بن هارون قال: خطب أبو بكر الصديق فقال فى خطبته: يؤتى بعبد قد أنعم الله عليه وبسط له فى الرزق قد أصح بدنه وقد كفر نعمة ربه، فيوقف بين يدى الله تعالى فيقال له: ماذا عملت ليومك هذا

وما قدمت لنفسك؟ فلا يجده قدم خيرا فيبكى حتى تنفد الدموع، ثم يعير فيخزى بما ضيع من طاعة الله فيبكى الدم، ثم يعير ويخزى حتى يأكل يديه إلى مرفقيه، ثم يعير فيخزى بما ضيع من طاعة الله فينتحب حتى تسقط حدقتاه على وجنتيه وكل واحد منهما فرسخ فى فرسخ، ثم يعير ويخزى حتى يقول: يا رب! ابعثنى إلى النار وارحمنى من مقامى هذا، وذلك قوله: ﴿ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]. كذا فى الكنز (ج١ ص٢٤٦).

• وأخرج ابن أبى الدنيا والدينورى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أن أبا بكر الصديق خطب الناس فقال: والذى نفسى بيده! لئن اتقيتم وأحصنتم ليوشكن أن لا يأتى عليكم ألا يسير حتى تشبعوا من الخبز والسمن؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٦).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية ج١ ص٣٤ عن عروة بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر ﷺ خطب الناس فقال: يا معشر المسلمين! استحيوا من الله عز وجل، فوالذى نفسى بيده! إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء متقنعا بثوبى استحياء من ربى عز وجل. وأخرجه ابن المبارك ورسته وابن أبى شيبة والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن ابن الزبير نحوه؛ كما فى الكنز (ج٨ ص٣٠٦).

• وأخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء عن ابن شهاب أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو يخطب: استحيوا من الله، فوالله! ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مقنعا[2] رأسى حياء من ربى؛ كذا فى الكنز (ج٥ ص١٢٤) وقال: وهو منقطع.

• وأخرج الترمذى وحسنه والنسائى عن أبى بكر أنه قام على المنبر ثم بكى فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول على المنبر ثم بكى فقال: سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية؛ كذا فى الترغيب (ج٥ ص٢٣٣).

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٣.
(٢) مغطيا.

وعند أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم عن أوس قال: خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول فقال: سلوا الله المعافاة- أو قال: العافية- فإنه لم يعط أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية- أو: المعافاة- وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة، وإياكم والكذب! فإنه مع الفجور وهما فى النار، لاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتقاطعوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله: كذا فى الكنز (ج١ ص٢١٩).

• وأخرج الحكيم والعسكرى والبيهقى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال: خطب أبو بكر الصديق فقال: قال رسول الله ﷺ : تعوذوا بالله من خشوع النفاق، قالوا: يا رسول الله! وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٢٢٩).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية وابن جرير عن أبى العالية قال: خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قال رسول الله ﷺ: للظاعن ركعتان وللمقيم أربع، مولدى بمكة ومهاجرى بالمدينة، فإذا خرجت مصعدا من ذى الحليفة صليت ركعتين؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٢٣٩).

• وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى ضمرة قال: خطب أبو بكر الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه سيفتح لكم الشام فتأتون أرضا رفيقة فتشبعون فيها من الخبز والزيت وستبنى لكم فيها مساجد، وإياكم أن يعلم الله منكم أنكم تأتونها تلهيا! إنما بنيت للذكر؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٢٥٩).

* * *

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ

• أخرج ابن سعد (ج٣ ص٢٧٥) عن حميد بن هلال قال أخبرنا من شهد وفاة أبى بكر الصديق ﷺ فلما فرغ عمر ﷺ من دفنه نفض[١] يده عن تراب قبره ثم قام خطيبا مكانه فقال: إن الله ابتلاكم بى وابتلانى بكم وأبقانى فيكم بعد صاحبى فوالله! لايحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى ولايتغيب عنى فآلو[٢] فيه عن الجزء والأمانة! ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم، قال الرجل: فوالله! ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا.

• وأخرج الدينورى عن الشعبى قال: لما ولى عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال: ما كان الله ليرانى أن أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر فنزل مرقاة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله، ألا! وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم إن استغنيت عففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف؛ كذا فى الكنز(ج٨ ص٢١٠). وأخرجه الفضائلى عن الشعبى- نحوه كما فى الرياض النضرة (ج٢ ص٨٩).

وعند ابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد فى الزهد وابن أبى شيبة وغيرهم عن عمر أنه قال فى خطبته حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم. وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لاتخفى منكم خافية: كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٨).

• وأخرج أحمد وابن سعد ومسدد وابن خزيمة والحاكم والبيهقى وغيرهم عن أبى فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: يا أيها الناس ألا! إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرانينا النبى ﷺ وإذ ينزل الوحى وإذ ينبئنا الله من أخباركم، إلا! وإن النبى ﷺ قد انطلق وانقطع الوحى، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من اظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه

(١) حركها ليزول عنها الغبار. (٢) فأقصر.

عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا! إنه قد أتى علىّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل لى بآخره أن رجالا قد قرأوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءته وأريدوه بأعمالكم، ألا! وإنى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم[١] ولاليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ فوالذى نفسى بيده! إذا لأقصنه[٢] منه، ألا! لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ولاتجمروهم[٣] فتفتنوهم ولاتمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولاتنزلوهم الغياض[٤] فتضيعوهم؛ كذا فى الكنز ج٨ ص٢٠٩. قال الهيثمى (ج٥ ص٢١١):أبو فراس لم أر من جرحه ولا وثقه وبقية رجاله ثقات- انتهى. وقال الحاكم (ج٤ ص٤٣٩): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

• وأخرج عبد الرزاق والطيالسى وأحمد والدارمى والترمذى وصححه وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن أبى العجفاء قال: خطب عمر فقال: ألا! لاتغلوا فى صداق النساء فأنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبى ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولاأصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية إن أحدكم ليغلى صدقة المرأة حتى يكون لها عداوة فى نفسه وهى تقول: قد كلفت لك علق[٥] القربة، وأخرى تقولونها لمن قتل فى مغازيكم: قتل فلان شهيدا أو مات فلان شهيدا، ولعله يكون قد أوقر[٦] عجز دابته أو دف[٧] راحلته ذهبا أو ورقا يلتمس التجارة، لاتقولوا ذلك ولكن قولوا كما قال النبى ﷺ: من قتل أو مات فى سبيل الله فهو فى الجنة.

وعند سعيد بن منصور وأبى يعلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب المنبر، ثم قرأ: أيها الناس! ما إكثاركم فى صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصداق فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار فى ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٩٧). وقد ذكرنا بعض طرق هذه الخطبة فى النكاح.

---

(١) أى ظاهر جلودكم. (٢) أى انتقم له منه.
(٣) أى لاتجمعوهم فى الثغور وتحبسوهم عن العود إلى أهلهم.
(٤) جمع غيضة وهى الشجر الملتف لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو.
(٥) أى تجشمت لأجلك كل شىء حتى علق القربة وهو حبلها الذى تعلق به. (٦) حمل وقرا.
(٧) جانب كور البعير.

• وأخرج أبو داود فى كتاب القدرية وابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهم عن عمر ﷺ أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، فقال له قس[١] بين يديه كلمة بالفارسية فقال عمر لمترجم يترجم له ما يقول؟ قال: يزعم أن الله لا يضل أحدا، فقال عمر: كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار إن شاء الله ولولا ولت[٢] عقدا لضربت عنقك، ثم قال: إن الله لما خلق آدم نثر ذريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه، فتفرق الناس ويختلفون فى القدر. وعند اللالكائى وابن عساكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن أبزى قال: أتى عمر فقيل له: إن ناسا يتكلمون فى القدر، فقام خطيبا فقال: يا أيها الناس!إنما هلك من كان قبلكم من الأمم فى أمر القدر،والذى نفس عمر بيده! لا أسمع برجلين يتكلمان فيه إلا ضربت أعناقهما، فأحجم الناس فما تكلم أحد حتى ظهر نابغة بالشام زمن الحجاج؛ كذا فى الكنز (ج١ ص٨٦).

• وأخرج العدنى عن الباهلى أن عمر قام فى الناس خطيبا مدخله فى الشام بالجابية فقال: تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه لم يبلغ منزلة ذى حق أن يطاع فى معصية الله، واعلموا أنه لايقرب من أجل ولايبعد من رزق الله، قول بحق وتذكير عظيم، واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجابا فإن صبر أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه، وأدبو الخيل وانتضلوا[٣] وانتعلوا وتسوكوا وتمعددوا[٤] وإياكم وأخلاق العجم ومجاورة الجبارين وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير إزار وتدعوا[٥] نساءكم يدخلن الحمامات! فإن ذلك لايحل، وإياكم أن تكسبوا من عقد الأعاجم بعد نزولكم فى بلادهم ما يحبسكم فى أرضهم! فإنكم توشكون أن ترجعوا إلى بلادكم، وإياكم والصغار أن تجعلوه فى رقابكم! وعليكم بأموال العرب الماشية تنزلون بها حيث نزلتم، واعلموا أن الأشربة تصنع من ثلاثة من الزبيب والعسل والتمر فما عتق منها فهو خمر لايحل، واعلموا أن الله لا يزكى ثلاثة نفر ولاينظر إليهم ولايقربهم يوم القيامة

(١) من كان بين الأسقف والشماس.
(٢) كذا فى الأصل، ولعله: ولت عقدا، والولت العهد المحكم.
(٣) ارموا بالسهام.
(٤) أى تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكانوا أهل غلظ وقشف أى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم.
(٥) تتركوا.

ولهم عذاب أليم: رجل أعطى أمامه صفقة يريد بها الدنيا فإن أصابها وفَّى له وإن لم يصبها لم يف له، ورجل خرج بسلعة بعد العصر يحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فاشتريت لقوله، وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، ولايحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام؛ ومن أتى ساحرا أو كاهنا أو عرافا[١] فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٧).

وذكر فى الكنز(ج٨ ص٢١٠) وعن موسى بن عقبة قال: هذه خطبة عمر ابن الخطاب يوم الجابية: أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه الذى بطاعته يكرم أولياؤه وبمعصيته يضل أعداؤه فليس لهالك هلك معذرة فى فعل ضلالة حسبها هدى ولا فى ترك حق حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعاهد الراعى من رعيته أن يتعاهدهم بما لله عليه من وظائف دينهم الذى هداهم الله له وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وبمعصيته وأن نقيم فيكم أمر الله عز وجل فى قريب الناس وبعيدهم ولانبالى على من مال الحق، وقد علمت أن أقواما يتمنون فى دينهم فيقولون: نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لايحملونه بحقه، وإن الإيمان ليس بالتحلى وإن للصلاة وقتا اشترطه الله فلا تصلح إلا به فوقت صلاة الفجر حين يزائل المرء ليله ويحرم على الصائم طعامه وشرابه فآتوها حظها من القرآن ووقت صلاة الظهر إذا كان القيظ فحين تزيغ عن الفلك حتى يكون ظلك مثلك وذلك حين يهجر المهجر، فإذا كان الشتاء فحين تزيغ عن الفلك حتى تكون على حاجبك الأيمن مع شروط الله فى الوضوء والركوع والسجود، وذلك لأن لاينام عن الصلاة ووقت صلاة العصر والشمس بيضاء نقية قبل أن تصفار قدر ما يسير الراكب على الجمل الثقال فرسخين قبل غروب الشمس، وصلاة المغرب حين تغرب الشمس ويفطر الصائم، وصلاة العشاء حين يعسعس[٢] الليل وتذهب حمرة الأفق إلى ثلث الليل فمن رقد قبل ذلك فلا أرقد الله عينيه، هذه مواقيت الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٣].

---

(١) منجما أو حازيا يدعى علم الغيب.
(٢) يظلم.
(٣) سورة النساء الآية ١٠٣.

ويقول الرجل: قد هاجرت ولم يهاجر وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات، ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد فى سبيل الله مجاهدة العدو واجتناب الحرام، وقد يقاتل أقوام: يحسنون القتال لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر، وإنما القتل حتف[١] من الحتوف وكل امرئ على ما قاتل عليه، وإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة فينجى من يعرف ومن لايعرف، وإن الرجل ليجبن بطبيعته فيسلم أباه وأمه، وإن الكلب ليهر[٢] من وراء أهله، واعلموا أن الصوم حرام يجتنب فيه أذى المسلمين كما يمنع الرجل من لذته من الطعام والشراب والنساء فذلك الصيام التام، وإيتاء الزكاة التى فرض رسول الله ﷺ طيبة بها أنفسهم فلا يرون عليها براء، فافهموا ما توعظون به فإن الحرب من حرب دينه وإن السعيد من وعظ بغيره وإن الشقى من شقى فى بطن أمه وإن شر الأمور مبتدعاتها، وإن الاقتصاد فى سنة خير من الاجتهاد فى بدعة، وإن للناس نفرة عن سلطانهم فعائذ بالله أن يدركى وإياكم ضغائن[٣] مجبولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة وقد خشيت أن تركنوا إلى الذين ظلموا فلا تطمئنوا، إلى من أوتى مالا عليكم بهذا القرآن فإن فيه نورا وشفاء وغيره الشقاء، وقد قضيت الذى علىَّ فيما ولأنى الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحا لكم وقد أمرنا لكم بأرزاقكم وقد جندنا لكم جنودكم وهيأنا لكم مغازيكم وأثبتنا لكم منازلكم ووسعنا لكم ما بلغ فيكم وما قاتلتم عليه بأسيافكم، فلا حجة لكم على الله بل الله الحجة عليكم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

وقال ابن كثير فى البداية(ج٧ ص٥٦) ذكر سيف فى سياقه أن عمر ﷺ ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعدما استخلف عليها على بن أبى طالب فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة: أيها الناس! أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ولايخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن. وهى خطبة طويلة اختصرناها- انتهى.

---

(١) الموت. (٢) ينبح. (٣) جمع ضغينة وهى الحقد.

• وعند أحمد (ج١ ص١٨) عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامى فيكم فقال: استوصوا بأصحابى خيرا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى أن الرجل ليبتدئ بالشهادة قبل أن يسألها، فمن أراد منكم بحبحة[١] الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، لايخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

وعند أحمد أيضاً (ج١ ص٥١) عن سويد بن غفلة أن عمر ﷺ خطب الناس بالجابية[٢] فقال: نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة وأشار بكفه. وذكر فى البداية (ج٧ ص٧٩) وأيضاً قال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس[٣] فى آخر سنة سبع عشرة قال: فلما أراد القفول[٤] إلى المدينة فى ذى الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا! إنى قد وليت عليكم وقضيت الذى علىَّ فى الذى ولانى الله من أمركم، إن شاء الله فبسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغناكم ما لدينا فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم العروج وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئا ينبغى العمل به، فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولاقوة إلا بالله- انتهى.

• وأخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه (ج٣ ص٢٨١) عن عروة بن الزبير وغيره أن عمر خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر، ثم قال: يا أيها الناس! إنى قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير، فربى المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

---

(١) أى وسط الجنة.
(٢) قرية من أعمال دمشق.
(٣) كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس.
(٤) الرجوع.

• وعنده أيضاً بهذا الإسناد أن عمر خطب فقال: إن الله عز وجل قد ولانى أمركم وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم وإنى أسأل الله أن يعيننى عليه وأن يحرسنى عنده كما حرسنى عند غيره وأن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به وإنى امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلقى شيئا إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم أن عمر تغير منذ ولى، أعقل الحق من نفسى وأتقدم وأبين لكم أمرى، فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق ليؤذنى فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم ولايحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلىَّ فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب إلى صلاحكم عزيز على عتبكم، وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد الله وأهل بلد لا زرع فيه ولاضرع إلا ما جاء الله به إليه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه ومطلع على ما بحضرتى بنفسى إن شاء الله لا أكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله.

• وذكر ابن جرير أيضاً فى تاريخه (ج٣ ص٢٨٢) أن عمر ﷺ خطب أيضاً فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ: أيها الناس! إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون، وأنتم مؤجلون فى دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحى فمن أسر شيئا أخذ بسريرته ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. أيها الناس! أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطى[2] فإنه إن لم يشف[3] فإنه يصف؛ أيها الناس! إنى

---

(١) سورة التغابن الآية ١٦.

(٢) جمع قبطية وهى الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء وكأنه منسوب إلى القبط وهم أهل مصر، وضم القاف من تغيير النسب.

(٣) يقال شف الثوب يشف شفوفا إذا بدا ما وراءه ولم يستره أى أن القباطى ثياب رقاق ضعيفة النسج فإذا لبستها المرأة لصقت بأردافها فوصفتها فنهى عن لبسها وأحب أن يكسين الثخان الغلاظ.

لوددت أن أنجو كفافا لا لى ولا على وإنى لأرجو إن عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ولايعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما، وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله، ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف[١]، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره.

• وأخرج ابن جرير أيضاً فى تاريخه (ج٣ ص٢٨٣) عن عروة وغيره قالوا: خطب عمر أيضاً فقال: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشىء غيره ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢] وحملكم فى البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا.

ومن نعم الله عليكم نعم عم بها نبى آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم[٣]حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون فى الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان: أمة مستعبدة للإسلام وأهله يجزون لكم يستصفون معائشهم وكدائحهم ورشح جباههم عليهم المؤنة[٤] ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل[٥] يلجأون إليه ولا مهرب يثقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة[٦] العيش استفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام،

---

(١) أى شدة.
(٢) سورة لقمان الآية ٢٠.
(٣) أثقلهم.
(٤) المشقة.
(٥) الملجأ.
(٦) أى السعة.

والله المحمود مع الفتوح العظام فى كل بلد، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التى لايحصى عددها ولا يقدر قدرها ولايستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذى لا إله إلا هو الذى أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله! بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[1]. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[2]. فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة وأثبته بالله جهالة، فلو كان هذا الذى استشلاكم[3] به لم يكن معه حظ فى دنياكم غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء[4] أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فإنه لا شىء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب.

• وأخرج ابن جرير عن كليب قال: خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران فلما انتهى إلى قوله:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[5]. قال: لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتنى أنزو[6] كأننى أروى[7]، والناس يقولون: قتل محمد، فقلت: لا أحد يقول قتل محمد إلا قتلته، حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٥.
(٢) سورة الأنفال الآية ٢٦.
(٣) أى استنقذكم به من الهلكة.
(٤) جمع حرى أى الخليق.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٥.
(٦) أى أثب.
(٧) جمع أروية وهى شاة الجبل.

• وعند ابن المنذر عن كليب قال: خطبنا عمر وكان يقرأ على المنبر: آل عمران ويقول: إنها أحدية ثم، قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدت الجبل فسمعت يهوديا يقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحدا يقول: قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه! فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[1]؛ كذا فى الكنز (ج١ ص٢٣٨).

• وأخرج أبو عبيد والخرائطى والصابونى وعبد الرزاق عن عبد الله بن عدى بن الخيار قال: سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: إن العبد إذا تواضع لله رفعه الله[2] حكمة، وقال: انتعش نعشك الله وهو فى نفسه حقير، وفى أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعدا طوره وهصه[3] الله إلى الأرض وقال: اخسأ أخساك الله،هو فى نفسه كبير، وفى أعين الناس حقير حتى لهو أهون عليهم من الخنزير، كذا فى الكنز (ج٢ ص١٤٣).

• وأخرج الخطيب عن أبى سعيد الخدرى قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: إنى لعلى أنهاكم عن أشياء تصلح وآمركم بأشياء لاتصلح لكم، وإن من آخر القرآن نزولا آية الربا، وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينها لنا، فدعوا ما يريبكم إلى مالا يريبكم؛ كذا فى الكنز (ج٢ ص٢٣٢).

• وأخرج ابن الضياء عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب الناس فقال: من أراد منكم الحج فلا يحرمن إلا من ميقات، والمواقيت التى وقتها لكم رسول الله ﷺ: لأهل المدينة ومن مر بها من غير أهلها ذو الحليفة، ولأهل الشام ومن مر بها من غير أهلها الجحفة، ولأهل نجد ومن مر بها من غير أهلها قرن، ولأهل اليمن يلملم، ولأهل العراق وسائر الناس ذات عرق؛ كذا فى الكنز (ج٣ ص٣٠).

• وأخرج أحمد وأبو يعلى وأبو عبيد عن ابن عباس قال: خطب عمر ﷺ فذكر الرجم فقال: لاتخدعن عنه فإنه حد من حدود الله، ألا! إن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون: زاد عمر فى كتاب الله ما ليس منه لكتبت فى ناحية المصحف: شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(٢) كذا فى الأصول، رفع الله حكمته أى قدره ومنزلته.

(٣) أى كسره.

وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ألا! وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة وبعذاب القبر وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا.

• وعند مالك وابن سعد ومسدد والحاكم عن سعيد بن المسيب أن عمر ﷺ لما أفاض من منى أناخ بالأبطح فكوم[1] كومة من بطحاء فطرح عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم! كبر سنى وضعف قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولامفرط، فلما قدم المدينة خطب الناس فقال: أيها الناس! قد فرضت لكم الفرائض وسننت لكم السنن وتركتكم على الواضحة، ثم صفق بيمينه على شماله ألا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، ثم إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم وأن يقول قائل: لانجد حديثه فى كتاب الله، فقد رأيت رسول الله ﷺ رجم ورجمنا بعده، فوالله لولا أن يقول الناس: أحدث عمر فى كتاب الله لكتبتها فى المصحف، فقد قرأناها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن؛ كذا فى الكنز (ج٣ ص٩٠).

• وأخرج الطيالسى وابن سعد وابن أبى شيبة وأحمد وابن حيان ومسلم والنسائى وأبو عوانة وأبو يعلى عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى أن عمر ابن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله ﷺ وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلى، رأيت: كأن ديكا نقرنى نقرتين أحمر، فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت: يقتلك رجل من العجم وإن الناس يأمرونى أن أستخلف وإن الله عز وجل لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بها نبيه ﷺ وأن يعجل بى أمر فإن الشورى فى هؤلاء الستة الذين مات النبى ﷺ وهو عنهم راض: عثمان وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإنى أعلم أن أناسا يستطيعون[2] فى هذا الأمر، أنا قاتلتهم بيدى هذه على الإسلام أولئك أعداء الكفار الضلال وإنى لاأدع شيئا، أهم عندى من أمر الكلالة، وأيم الله! ما أغلظ لى نبى الله ﷺ فى شىء منذ صحبته أشد مما أغلظ

(١) أى جمع وجعل كومة وهى القطعة المجتمعة المرتفعة من التراب ونحوه.

(٢) كذا فى الطبعة الأولى من الكنز، وفى الثانية ٤٢٣/٥ عن ابن سعد: سيطعنون.

لى فى شأن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال: يكفيك آية الصيف التى نزلت فى آخر سورة النساء، وإنى إن أعش فسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ، وإنى أشهد الله على أمراء الأمصار إنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويرفعوا إلىَّ مما عمى عليهم، ثم إنكم أيها الناس! تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: هذا الثوم والبصل، وأيم الله! لقد كنت أرى نبى الله ﷺ يجد ريحها من الرجل فيأمر به فيؤخذ بيده فيخرج من المسجد حتى يؤتى به البقيع، فمن أكلها لابد فليمتها طبخا، فخطب الناس يوم الجمعة، وأصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة؛ كذا فى الكنز (ج٣ ص١٥٣).

• وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأحمد والشاشى والبيهقى وسعيد بن منصور عن يسار بن معرور قال: خطبنا عمر ﷺ فقال: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ نبى هذا المسجد ونحن معه المهاجرون والأنصار، فإذا اشتد الزحام فليسجد الرجل منكم على ظهر أخيه، ورأى قوما يصلون فى الطريق فقال: صلوا فى المسجد؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٢٥٩).

• وأخرج ابن عساكر وسعيد بن منصور وتمام عن عمر ﷺ قال: لما ولى عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثا ثم حرمها، والله! لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها ولا أجد رجلا من المسلمين متمتعا إلا جلدته مائة جلدة إلا أن يأتينى بأربعة شهداء أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٩٣).

• وأخرج البيهقى عن عبد الله بن سعيد عن جده أنه سمع عمر ابن الخطاب ﷺ على المنبر يقول: يا معشر المسلمين! إن الله قد أفاء عليكم من بلاد الأعاجم من نسائهم وأولادهم مالم يفئ على رسول الله ﷺ ولا على أبى بكر، وقد عرفت أن رجالا يسلمون بالنساء، وأيما رجل ولدت له امرأة من نساء العجم فلا تبيعوا أمهات أولادكم! فإنكم إن فعلتم أوشك الرجل أن يطأ حريمه وهو لايشعر؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٩٢).

• وأخرج ابن جرير عن معرور أو ابن معرور التميمى قال: سمعت عمر ابن الخطاب ﷺ وصعد المنبر قعد دون مقعد رسول الله ﷺ بمقعدين، فقال:

أوصيكم بتقوى الله واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله أمركم؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٨).

• وأخرج البيهقى عن أبى هريرة ﷺ قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول فى خطبته: أفلح منكم من حفظ من الهوى والغضب والطمع ووفق إلى الصدق فى الحديث فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور! ما فجور من خلق من التراب وإلى التراب يعود، اليوم حى وغدا ميت، اعملوا عمل يوم بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدوا أنفسكم من الموتى؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٨).

• وأخرج البخارى فى الأدب وابن خزيمة وجعفر الفريانى عن قبيصة قال: سمعت عمر ﷺ وهو يقول على المنبر: من لايرحم لا يرحم، ومن لايغفر لايغفر له، ومن لايتوب[1] لا يتاب عليه، ومن لايتق لايوقه؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٧).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص٥٠) عن عروة قال: قال عمر ﷺ فى خطبته تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى، وأن الرجل إذا يئس من شىء استغنى عنه، وأخرجه ابن المبارك أيضاً؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٣٥).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية ج١ ص٥٤ عن عبد الله بن خراش عن عمه قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول فى خطبته: اللهم! اعصمنا بحبلك وثبتنا على أمرك، وأخرجه أيضاً أحمد فى الزهد والروياني واللالكائى وابن عساكر وزادوا: وارزقنا من فضلك؛ كما فى الكنز (ج١ ص٣٠٣).

• وأخرج أحمد (ج١ ص١٧) عن أبى سعيد قال: خطب عمر الناس فقال: إن الله عز وجل رخص لنبيه ﷺ ما شاء، وإن نبى الله ﷺ قد مضى لسبيله ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾[2]. كما أمركم الله عز وجل، وحصنوا فروج هذه النساء.

• وأخرج أحمد (ج١ ص٢٠) عن ابن الزبير قال: سمعت عمر ابن الخطاب ﷺ يقول فى خطبته: إنه سمع من رسول الله ﷺ يقول: من يلبس فى الدنيا فلا يكساه فى الآخرة.

---

(١) كذا فى الكنز، والظاهر من لا يتب.
(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

• وأخرج أحمد (ج١ ص٣٤) عن أبى عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف أنه شهد العيد مع عمر بن الخطاب ﷺ فصلى قبل أن يخطب بلا أذان ولا إقامة ثم خطب فقال: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ: نهى عن صيام هذين اليومين، أما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم وعيدكم، وأما الآخر فيوم تأكلون فيه من نسككم.

• أخرج أحمد (ج١ ص٤٣) عن علقمة بن وقاص الليثى أنه سمع عمر ابن الخطاب ﷺ وهو يخطب الناس وهو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

• وأخرج ابن سعد (ج٣ ص ٣٢٢) عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر ابن الخطاب الناس فى زمان الرمادة فقال: أيها الناس! اتقوا الله فى أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، فما أدرى السخطة علىّ دونكم أو عليكم دونى أو قد عمتنى وعمتكم، فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحل، قال: فرئى عمر يومئذ رافعا يديه يدعو الله ودعا الناس وبكى وبكى الناس مليا ثم نزل.

• وأخرج أحمد (ج١ ص٤٤) عن أبى عثمان النهدى قال: إنى لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس فقال فى خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان.

* * *

خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ

• أخرج ابن سعد (ج٣ ص٦٢) عن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزومى أن عثمان ﷺ لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياما وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله.

• وأخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه(ج٣ ص٣٠٥) من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان وهو أشد كآبة[١] فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال: إنكم فى دار قلعة[٢] وفى بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا! وإن الدنيا طويت على الغرور،﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٣]. اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا؟ ألم تلفظهم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا والذى هو خير فقال عز وجل:﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا * ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٤]. وأقبل الناس يبايعونه.

• وأخرج ابن جرير أيضاً فى تاريخه (ج٣ ص٤٤٦) بإسناد فيه سيف عن عتبة قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال: أما بعد فإنى قد حملت وقد قبلت، ألا! وإنى متبع ولست بمبتدع، ألا! وإن لكم علىّ بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثا: إتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ والكف عنكم إلا فيما استوجبتم، ألا! وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها فإنها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.

---

(١) تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن.
(٢) أى تحول وارتحال.
(٣) سورة لقمان الآية٣٣.
(٤) سورة الكهف الآيتان ٤٥،٤٦.

• وأخرج الدينورى فى المجالسة وابن عساكر عن مجاهد قال: خطب عثمان ابن عفان فقال فى خطبته: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذى وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت فى الدنيا وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك، فخذ حذرك واستعد له ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك، واعلم ابن آدم! إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لم يستعد لها غيرك، ولابد من لقاء الله فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص١٠٩).

• وأخرج الدينورى وابن عساكر عن الحسن أن عثمان بن عفان خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واكتسب من نور الله نورا لظلمة القبر، وليخش عبد أن يحشره الله الأعمى وقد كان بصيرا، وقد يكفى الحكيم جوامع الكلم والأصم ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئا ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٢٤).

• وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال: رأيت عثمان على المنبر قال: يا أيها الناس! اتقوا الله فى هذه السرائر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذى نفس محمد بيده! ما عمل أحد عملا قط سرا إلا ألبسه رداءه علانية، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ثم تلا هذه الآية ورياشا- ولم يقل- ﴿وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]. قال: السمت الحسن؛ كذا فى الكنز (ج٢ ص١٣٧).

• وأخرج أحمد والبزار والمروزى والشاشى وأبو يعلى وسعيد بن منصور عن عباد بن زاهر قال: سمعت عثمان يخطب فقال: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر وكان يعود مرضانا ويشيع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير وإن ناسا يعلمونى به عسى أن لايكون أحدهم رآه قط؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٤٤) قال الهيثمى (ج٧ ص٢٢٨) رواه أحمد وأبو يعلى[2] فى الكبير وزاد: فقال له أعين ابن امرأة الفرزدق: يا نعثل! إنك قد بدلت، فقال: من هذا؟ فقالوا: أعين، فقال: بل أنت أيها العبد، قال: فوثب الناس إلى أعين،

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦.

(٢) كذا فى الأصل، والظاهر: الطبرانى.

قال: وجعل رجل من بنى ليث يزعهم[١] عنه حتى أدخله داره؛ ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة- انتهى.

• وأخرج الشافعى والبيهقى (ج٨ ص٩) عن مالك عن عمه أبى سهيل ابن مالك عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان يقول فى خطبته: لاتكلفوا الصغير الكسب فإنه متى كلفتموه الكسب سرق، ولاتكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب فإنكم إن كلفتموها الكسب كسبت بفرجها، وعفوا إذ أعفكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها؛ قال البيهقى: ورفعه بعضهم عن عثمان من حديث الثورى ورفعه ضعيف، كذا فى الكنز (ج٥ ص٤٧).

• وأخرج البيهقى عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس! إياكم والميسر- يريد النرد- فإنها قد ذكرت لى أنها فى بيوت ناس منكم، فمن كان فى بيته فليحرقها أو يكسرها؛ وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس! إنى قد كلمتكم فى هذا النرد ولم أركم قد أخرجتموها، فلقد هممت أن آمر بحزم الحطب ثم أرسل إلى بيوت الذين هن فى بيوتهم فأحرقها عليهم؛ كذا فى الكنز (ج٧ ص٣٣٤).

• وأخرج البيهقى وابن عساكر عن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى ثم خطب الناس فقال: أيها الناس! إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، لكن حدث العام من الناس فخفت أن تستنوا؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٢٣٩).

• وأخرج ابن عساكر عن قتيبة بن مسلم قال: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما زال يقول: إنه بيت الوحدة وبيت الغربة- حتى بكى وأبكى من حوله ثم قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعت مروان يقول فى خطبته: خطبنا عثمان بن عفان فقال فى خطبة: ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر وذكره إلا بكى؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص١٠٩).

• وأخرج أحمد (ج١ ص٦٢) عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عثمان

---

(١) أى يمنعهم.

يخطب على المنبر وهو يقول: كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم بنو قينقاع فأبيعه بربح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا عثمان! إذا اشتريت فاكتل وإذا بعت فكل.

• وأخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه (ج٣ ص٤٤٦) من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: آخر خطبة خطبها عثمان فى جماعة: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير والزموا جماعتكم، لاتصيروا أحزابا ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1]. وقد تقدم ما قال عثمان فى خطبة فى فضل الحرس فى سبيل الله فى باب الجهاد.

• أخرج الإمام أحمد (ج١ ص٦٥) عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ كراهة تفرقكم عنى، ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه مابدا له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم فى سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل.

• وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (ج١ ص٦١) عن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير - رضى الله عنهما- قال قال عثمان بن عفان ﷺ - وهو يخطب على منبره-: إنى محدثكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، ما كان يمنعنى أن أحدثكم إلا الضن عليكم، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: حرس ليلة فى سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها.

* * *

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ

• أخرج ابن جرير فى تاريخه (ج٣ ص٤٥٧) بإسناد فيه سيف عن على ابن الحسين أول خطبة خطبها على ﷺ حين استخلف حمد الله وأثنى عليه فقال: إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بيَّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد للمسلمين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق لايحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإن ما من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولاتعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض.

• وأخرج أبو الشيخ عن على أنه خطب فقال: عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كف يده عنهم كف يدا واحدة، وكفوا عنه أيدى كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله، فتلا هذه الآية ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1]. قال على: والركن الشديد: العشيرة، فلم تكن للوط عشيرة، فوالذى لا إله إلا هو ما بعث الله نبيا قط بعد لوط إلا فى ثروة من قومه- وتلا هذه الآية فى شعيب ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾[2]. قال: كان مكفوفا فنسبوه إلى الضعف ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ قال على: فوالذى لا إله غيره! ما هابوا جلال ربهم إلا العشيرة؛ كذا فى الكنز (ج١ ص٢٥٠).

• وأخرج الحسين بن يحيى القطان والبيهقى عن الشعبى قال: كان على يخطب إذا حضر رمضان ثم يقول: هذا الشهر المبارك الذى فرض الله صيامه ولم يفرض قيامه ليحذر رجل أن يقول: أصوم إذا صام فلان وأفطر إذا أفطر

(١) سورة هود الآية ٨٠.
(٢) سورة هود الآية ٩١.

فلان، ألا! إن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل والكفر، ألا! لاتقدموا الشهر، إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأتموا العدة، قال: كان يقول ذلك بعد صلاة الفجر وصلاة العصر؛ كذا فى الكنز (ج٤ ص٣٢٢).

• وأخرج الصابونى فى المائتين وابن عساكر عن على أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله! والله الموت ليس منه فوت! وإن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاة النجاة والوحاء[١] الوحاء! وراءكم طالب حثيث[٢] القبر فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا! وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا! وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد وقعرها بعيد حليها حديد وخازنها مالك، ليس لله فيه- وفى لفظ: فيها- رحمة، وألا! وراء ذلك جنة عرضها السماوات[٣] والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص١١٠). وذكر ابن كثير فى البداية (ج٨ ص٦) هذه الخطبة عن الأصبغ بن نباتة قال: صعد علىّ ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت- فذكر نحوه وزاد بعد قوله: أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. وزاد فى روايته: ثم بكى وبكى المسلمون حوله.

• وأخرج الدينورى وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العجلى عن أبيه قال: خطب على بن أبى طالب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال: عباد الله! لاتغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهى ما بين أهلها دول وسجال، لن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها فى رخاء[٤] وسرور إذا هم منها فى بلاء وغرور، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لايدوم، وإنما أهلها فيها أغراض[٥]

(١) السرعة السرعة.
(٢) سريع.
(٣) فى الكنز: كعرض السماء.
(٤) سعة العيش.
(٥) جمع غرض وهو الهدف.

مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم[١] بحمامها؛ عباد الله! إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة[٢] خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية[٣]، واستبدلوا بالقصور المشيدة[٤] والسرر[٥] والنمارق[٦] الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور الملاطية الملحدة التى قد بين الخراب[٧] فناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم[٨] البلاء وأكلتهم الجنادل[٩] والثرى؟ فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة[١٠] العيش رفاتا[١١]، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات! كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكان قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى فى دار الموتى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى ملك جليل؟ فطارت القلوب لإشفاقها[١٢] من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا، جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢١٩) والمنتخب (ج٦ ص٣٢٤)، وذكرها ابن الجوزى فى صفة الصفوة

---

(١) تكسرهم بموتها.
(٢) أى ساكنة.
(٣) أى ممحوة.
(٤) أى مبنية بالشيد وهو كل ما طليت به الحائط من جص وغيره.
(٥) جمع سرير.
(٦) جمع نمرقة أى الوسادة .
(٧) كذا، وفى صفة الصفوة: بنى على الخراب.
(٨) أى أهلكتهم.
(٩) جمع جندل وهو الصخر العظيم.
(١٠) أى طيب العيش ولذته.
(١١) الرفات كل ما دق وكسر.
(١٢) لخوفها.

(ج١ ص١٢٤) بطولها وزاد فى أوله: إن على بن أبى طالب خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح[١] به علتكم وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا- فذكر نحوه.

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص٧٧) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن عليا شيع جنازة فلما وضعت فى لحدها عج[٢] أهلها وبكوا فقال: ما تبكون؟ أما والله! لوعاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد؛ ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعى ما عناها، وأبصارا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها[٣] فى تركيب صورها، وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً بل أكرمكم بالنعم السوابغ[٤] وأرفدكم بأوفر الروافد[٥] وأحاط بكم الإحصاء وأرصد لكم الجزاء فى السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله! وجدوا فى الطلب وبادروا بالعمل مقطع النهمات[٦] وهادم اللذات، فإن الدنيا لايدوم نعيمها ولاتؤمن فجائعها، غرور حائل وشبح فائل[٧] وسناد مائل، يمضى مستطرفا ويردى مستردفا بأتعاب شهواتها وختل تراضعها، اتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا بالآيات والأثر وازدجروا بالنذر وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب[٨] المنية وضمكم بيت التراب ودهمتكم مفظعات الأمور بنفخة الصور وبعثرة القبور، وسياقة المحشر وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها وشاهد يشهد عليها بعملها وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون،

---

(١) ليزيل.
(٢) أى رفعوا أصواتهم.
(٣) أى ما أصابها بداهية ومصيبة.
(٤) أى الكاملة.
(٥) أى العطايا.
(٦) الحاجات، والمراد من مقطع النهمات وهادم اللذات الموت.
(٧) أى ضعيف.
(٨) جمع مخلب وهو لسباع الطيور والبهائم بمنزلة الظفر للإنسان.

فارتجت[١] لذلك اليوم البلاد ونادى المنادى وكان يوم التلاقى وكشف عن ساق، وكسفت الشمس وحشرت الوحوش مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة[٢] وعقوبة منيحة، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب[٣] وقصيف[٤] رعد وتغيظ ووعيد، تأجج جحيمها وغلا حميمها وتوقد سمومها، فلا ينفس خالدها ولا تنقطع حسراتها ولايقصم كبولها، معهم ملائكة يبشرونهم بنزل من حميم وتصلية جحيم عن الله محجوبون ولأوليائه مفارقون وإلى النار منطلقون، عباد الله! اتقوا الله تقية من كنع[٥] فخنع[٦] وجل فرحل وحذر فأبصر فازدجر[٧] فاحتث[٨] طلبا ونجا هربا وقدم للمعاد واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقما وبصيرا، وكفى بالكتاب خصما وحجيجا، وكفى بالجنة ثوابا، وكفى بالنار وبالا وعقابا؛ وأستغفر الله لى ولكم.

• وأخرج الدينورى وابن عساكر عن على ﷺ أنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن الضمار[٩] اليوم وغدا السباق، ألا! وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيب[١٠]، ألا! فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة، ألا! وإنى لم أر كالجنة نائم طالبها ولم أر كالنار نائم هاربها، ألا! وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار[١١] به الضلال، ألا! وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس! إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا! إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم، أيها الناس! أحسنوا فى عمركم تحفظوا فى عقبكم، فإن الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه ووعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ[١٢] زفيرها ولا يفك أسيرها ولا يجبر كسيرها، حرها شديد وقعرها بعيد وماؤها صديد، وإن أخوف

(١) اضطربت.
(٢) مهلكة.
(٣) أى صوت وجلبة مع اختلاط.
(٤) أى صوت هائل.
(٥) أى خضع ولان.
(٦) أى ذل.
(٧) أى كف نفسه.
(٨) أى أسرع.
(٩) وفى البداية: المضمار.
(١٠) وفى البداية: فقد خاب عمله.
(١١) وفى البداية: جاد.
(١٢) لا يسكن صوتها.

ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٢٠) والمنتخب (ج٦ ص٣٢٤) وذكر ابن كثير فى البداية (ج٨ ص٧) هذه الخطبة بطولها عن وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم وقال: وفى رواية: فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وإن طول الأمل ينسى الآخرة.

• وأخرج ابن النجار عن زياد الأعرابى قال: صعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهروان فحمد الله وخنقته العبرة فبكى حتى اخضلت[1] لحيته بدموعه وجرت ثم نفض لحيته فوقع رشاشها على ناس من أناس فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرمه الله على النار، ثم قال: يا أيها الناس! لاتكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول فى الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى، ويأمر ولا يأتى، وينهى ولاينتهى، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فتن وإن مرض حزن وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعافى فلا يشكر ويبتلى فلا يصبر، كأن المحذر من الموت سواه، وكأن من وعد وزجر غيره، يا أغراض المنايا! يا رهائن الموت! ويا فاكهة الزمان! ويا نور الحدثان! ويا أخرس عند الحجج! ويا من غمرته الفتن وحيل بينه وبين معرفة العبر! بحق أقول: مانجا من نجا إلا بمعرفة نفسه وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[2]. جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل ودعى إلى العمل فعمل؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٢٠) والمنتخب (ج٦ ص٣٢٥).

• وأخرج ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يعمر أن على بن أبى طالب ﷺ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصى ولم ينههم الربانيون والأحبار، أنزل الله بهم العقوبات، ألا! فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذى نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقا ولايقرب

(١) ابتلت.

(٢) سورة التحريم الآية ٦.

أجلا، إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان فى أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره[١] فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم مالم يغش دناءة يظهر تخشعا لها إذا ذكرت ويغرى به لئام الناس كالياسر[٢] الفالج[٣] الذى ينتظر أول فوزة[٤] من قداحه توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسنيين إذا ما دعا الله فما عند الله هو خير له وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال، الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، قد يجمعهما الله لأقوام. قال سفيان بن عيينة: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا على بن أبى طالب؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٢٠) ومنتخبه (ج٦ ص٣٢٦). وذكره فى البداية (ج٨ ص٨) عن ابن أبى الدنيا بإسناده عن يحيى فذكر من قوله: إن الأمر ينزل من السماء- إلى آخره نحوه، وفيما ذكره: فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه وإما أن يعطيه الله فى الآخرة، فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان: فحرث الدنيا المال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

• وأخرج البيهقى عن أبى وائل قال: خطب علىّ ﷺ الناس بالكوفة فسمعته يقول فى خطبة: أيها الناس! إنه من يتفقر افتقر ومن يعمر يبتلى ومن لايستعد للبلاء إذا ابتلى لايصبر ومن ملك استأثر ومن لا يستشير يندم، وكان يقول من وراء هذا الكلام: يوشك أن لايبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وكان يقول: ألا! لا يستحى الرجل أن يتعلم، ومن يسأل عما لايعلم أن يقول: لا أعلم، مساجدكم يومئذ عامرة وقلوبكم وأبدانكم خربة من الهدى، شر من تحت ظل السماء فقهاؤكم منهم تبدو الفتنة وفيهم تعود، فقام رجل فقال: ففيم يا أمير المؤمنين! قال: إذا كان الفقه فى رذالكم[٥] والفاحشة فى خياركم والملك فى صغاركم فعند ذلك تقوم الساعة؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢١٨).

---

(١) وفى البداية ج٨ ص٨ عن ابن أبى الدنيا: عثرة.
(٢) الياسر المقامر.
(٣) الفالج الغالب فى قمار.
(٤) وفى البداية : فورة.
(٥) جمع رذيل.

وذكر ابن كثير فى البداية (ج٧ ص٣٠٧) أن عليا ﷺ قام فيهم خطيبا فقال: الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح وناشر الموتى وباعث من فى القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد فى سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته. وصوم شهر رمضان فإنه جنة[1] من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة فى المال منسأة فى الأجل محبة فى الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقى مصارع الهول، أفيضوا فى ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى، واستسنوا بسنته فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا فى الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما فى الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون.

وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذى لايستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير فى جهله وكلاهما مضلل مثبور، لا ترتابوا فتشكوا ولاتشكوا فتكفروا ولاترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ولاتذهلوا فى الحق فتخسروا، ألا! وإن من الحزم أن تتقوا ومن الثقة ألا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخف ويندم، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه فى العافية، وخير مادام فى القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ومن ابتدع فقد ضيع،وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة، المغبون من غبن دينه، والمغبون من خسر نفسه، وإن الربا من الشرك وإن الإخلاص من العمل والإيمان، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان وتدعو إلى كل غى، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار وهى مصائد[2] الشيطان،

(١) أى سترة.
(٢) جمع مصيدة وهى ما يصاد به.

فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب للإيمان، ألا! إن الصدق على شرف منجاة وكرامة وإن الكذب على شرف ردى وهلكة، ألا! وقولوا الحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا وإذا حكمتم فاعدلوا، ولاتفاخروا بالآباء ولاتنابزوا بالألقاب ولاتمازحوا ولايغضب بعضكم بعضا، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(١).

وأكرموا الضيف وأحسنوا إلى الجار وعودوا المرضى وشيعوا الجنازة وكونوا عباد الله إخوانا؛ أما بعد! فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإن الآخرة قد أطلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة والغاية النار، ألا! وإنكم فى أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله عمله فى أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله وضره أمله، فاعملوا فى الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة.

وإنى لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ولا أكثر مكتسبا من شىء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر وتجتمع فيه الكبائر، وإنه من لاينفعه الحق يضره الباطل ومن لايستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لاينفعه اليقين يضره الشك، ومن لاينفعه حاضره فعاز به عنه أعور وغائبه عنه أعجز، وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا! وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق، ألا! وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ولاتكونوا من بنى الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب وغدا حساب ولاعمل. قال الحافظ ابن كثير: وهذه

(١) سورة المائدة الآية ٢.

خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة، ولله الحمد والمنة- انتهى.

• وأخرج الطبرانى عن أبى خيرة قال: صحبت عليا ﷺ حتى أتى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كيف أنتم إذا نزل بذرية نبيكم بين ظهرانيكم؟ قالوا: إذا نبلى الله فيهم بلاء حسنا، فقال: والذى نفسى بيده! لينزلن بين ظهرانيكم ولتخرجن إليهم فلتقتلنهم ثم أقبل يقول:

هم أوردوه بالغرور وغردوا أجيبوا دعاه لا نجاة ولا عذرا

قال الهيثمى (ج٩ ص١٩١): وفيه سعيد بن وهب متأخر ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات- انتهى.

• وأخرج أحمد فى مسنده ج١ ص٨١ عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال: خطبنا على ﷺ فقال: من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب، قال: وفيها قال رسول الله ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولاصرفا، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولاعدلا، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم.

• وأخرج أحمد (ج١ ص١٢٧) عن إبراهيم النخعى قال: ضرب علقمة بن قيس هذا المنبر وقال: خطبنا على ﷺ على هذا المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ماشاء الله أن يذكر وقال: إن خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر - رضى الله عنهما- ثم أحدثنا بعدهما أحداثا يقضى الله فيها. وعنده أيضاً(ج١ ص١٠٦) عن أبى جحيفة أنه صعد المنبر- يعنى عليا ﷺ- فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثانى عمر - رضى الله عنهما-، وقال: يجعل الله تعالى الخير حيث أحب. وعنده أيضاً عن وهب السوائى بمعناه ألا إنه لم يذكر من قوله: ثم أحدثنا، وقال: وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ﷺ.

• وأخرج ابن أبى عاصم وابن شاهين واللالكائى فى السنة والأصبهانى فى الحجة وابن عساكر عن علقمة قال: خطبنا على ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه بلغنى أن ناسا يفضلونى على أبى بكر وعمر- رضى الله عنهما- ولو كنت تقدمت فى ذلك لعاقبت فيه ولكنى أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئا من ذلك بعد مقامى هذا فهو مفتر عليه ما على المفترى، خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر -رضى الله عنهما- ثم أحدثنا بعدهم أحداثا يقضى الله فيها ما يشاء؛ كذا فى المنتخب (ج٤ ص٤٤٦). وعند أبى نعيم فى الحلية عن زيد ابن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علىّ ﷺ فى إمارته فقال: يا أمير المؤمنين! إنى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر -رضى الله عنهما- بغير الذى هما له أهل، فنهض فرقى المنبر فقال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة! لايحبهما إلا مؤمن فاضل ولايبغضهما إلا شقى مارق، فحبهما قربة وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين؟ فأنا برىء ممن يذكرهما بسوء وعليه معاقب؛ كذا فى المنتخب (ج٤ ص٤٤٣). وقد تقدمت هذه الخطبة بطولها فى الغضب للأكابر.

• وأخرج اللالكائى وأبو طالب العشارى ونصر فى الحجة عن على بن حسين قال: قال فتى من بنى هاشم لعلى بن أبى طالب ﷺ حين انصرف من صفين: سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين فى الجمعة! تقول: اللهم! أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال: أبو بكر وعمر- رضى الله عنهما- إماما الهدى وشيخا الإسلام والمهتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اتبعهما هدى إلى صراط مستقيم، ومن اقتدى بهما يرشد ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون- كذا فى المنتخب (ج٤ ص٤٤٤).

• وأخرج أحمد (ج١ ص١١٦) عن شيخ من بنى تميم قال: خطبنا على ﷺ أوقال: قال على- ﷺ: يأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يديه، قال: ولم يؤمر بذلك، قال الله عز وجل: ولاتنسوا الفضل بينكم،

وينهد الأشرار ويستذل الأخيار ويبايع المضطرون، قال: وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين وعن بيع الغرر وعن بيع الثمرة قبل أن تدرك.

• وأخرج أحمد (ج١ ص١٥٠) عن ربعى بن حراش أنه سمع عليا ﷺ يخطب يقول: قال رسول الله ﷺ: لا تكذبوا علىّ فإنه من يكذب علىّ يلج النار؛ وأخرجه الطيالسى (ص١٧) عن ربعى- مثله.

• وأخرج أحمد (ج١ ص١٥٦) عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: خطب على ﷺ قال: يا أيها الناس! أقيموا على أرقائكم الحدود من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت، فأمرنى رسول الله ﷺ أن أقيم عليها الحد، فأتيتها فإذا هى حديث عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدتها أن تموت فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أحسنت.

• وأخرج أحمد (ج١ ص١٥٦) عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا على ﷺ فقال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه! قال: قال الناس: فأعلمنا من هو، والله لنبيرن عترته! قال: أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلى، قالوا: إن كنت قد علمت ذلك استخلف إذا، قال: لا، ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ.

• وأخرج عبد الرزاق وأبو عبيدة فى الأموال والحاكم فى الكنى وأبو نعيم فى الحلية عن عمرو بن العلاء قال: خطب على فقال: يا أيها الناس! والله الذى لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه- وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلىّ دهقان؛ كذا فى المنتخب (ج٥ ص٥٤).

• وأخرج ابن مردويه عن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا على بن أبى طالب ﷺ على منبر الكوفة قال: كنت إن لم أسأل النبى ﷺ ابتدأنى وإن سألته عن الخير أنبأنى. وإنه حدثنى عن ربه عز وجل قال: يقول الله عز وجل: وارتفاعى فوق عرشى؛ ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتى ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتى إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابى إلى ما يحبون من رحمتى، وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ماأحببت من طاعتى ثم تحولوا

عنها إلى ما كرهت من معصيتى إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتى إلى ما يكرهون من غضبى؛ كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٠٣).

ونختتم خطب الإمام على ﷺ بهذه الخطبة التى كانت بمثابة تعظيم لله عز وجل فى ذاته وصفاته وأفعاله.

الحمد لله الذى لايبلغ مدحته القائلون. ولايحصى نعماءه العادون. ولايؤدى حقه المجتهدون. الذى لايدركه بعد الهمم[١]. ولا يناله غوص الفطن الذى ليس لصفته حد محدود ولانعت موجود. ولاوقت معدود. ولا أجل ممدود، فطر[٢] الخلائق بقدرته. ونشز الرياح برحمته. ووتد بالصخور ميدان[٣] أرضه، أول الدين معرفته[٤] وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه. لشهادة كل صفة أنه غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه. ومن ثناه فقد جزأه. ومن جزأه فقد جهله[٥]. ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حده[٦]. ومن حدّه فقد عدّه. ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لاعن حدث[٧]. موجود لا عن عدم. مع كل شىء لا بمقارنة. وغير كل شىء لا بمزايلة[٨]. فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه[٩]. متوحد إذ لاسكن يستأنس به. ولا يستوحش لفقده[١٠] أنشأ الخلق إنشاء. وابتدأه ابتداء. بلا روية أجالها[١١].

ولا تجد به استفادها. ولا حركة أحدثها. ولا همامة نفس اضطرب فيها[١٢].

---

(١) أى أن أصحاب الفكر وإن علت وبعدت لاتحيط به علما.
(٢) فطر: خلق.
(٣) الميدان: الحركة، ووتد: ثبت.
(٤) أول الدين معرفته: أى أساس الدين هو: معرفة الله تعالى.
(٥) جهله: أى جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات مقدس عن مضارعة المركبات.
(٦) فقد حده: إنما تشير إلى شىء إذا كان منك فى جهة فأنت تتوجه إليها بإشارتك، وما كان منك فى جهة فهو منقطع عن غير فيكون محدودا أى له طرف- ينتهى إليه فمن أشار إليه فقد حده.
(٧) لا عن حدث: الحدث الإبداء أى هو موجود لكن لا عن إبداء.
(٨) المزايلة: المفارقة والمباينة.
(٩) أى بصير بخلقه قبل وجودهم.
(١٠) ولا يستوحش لفقده: معناه أن الله متوحد مع التنزه عن السكن.
(١١) أجالها: أى أدارها ورددها.
(١٢) همامة النفس أى اهتمامها بالأمر وقصدها إليه.

أحال الأشياء لأوقاتها[١] ولام بين مختلفاتها[٢]. وغرز غرائزها[٣]. وألزمها أشباحها[٤] عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها. عارفا بقرائنها وأحنائها[٥] ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء[٦]. وشق الأرجاء وسكائك الهواء[٧]. فأجرى فيها ماء متلاطما تياره[٨] متراكما زخاره. حمله على متن الريح العاصفة. والزعزع القاصفة فأمرها برده[٩] وسلطها على شدّه وقرنها على حده. الهواء من تحتها فتيق[١٠] والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها[١١]. وأدام مربّها. وأعصف مجراها. وأبعد منشاها. فأمرها بتصفيق الماء الزخار[١٢] وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد أوله إلى آخره. وساجيه إلى مائره[١٣]. حتى عبّ عبابه[١٤] ورمى بالزبد ركامه. فرفعه فى هواء منفتق. وجو منفهق[١٥] فسوّى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا[١٦] وعلياهن سقفا محفوظا. وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها. ولا دسار ينظمها[١٧]. ثم زينها بزينة الكواكب. وضياء الثواقب[١٨] وأجرى فيها سراجا مستطيرا[١٩]. وقمرا منيرا فى ذلك دائر. وسقف سائر. ورقيم مائر[٢٠]. ثم فتق ما بين السموات العلا. فملاهن أطوارا من ملائكته. منهم سجود لايركعون. وركوع لاينتصبون. وصافون[٢١] لايتزايلون[٢٢] ومسبحون لايسأمون.

---

(١) حولها من العدم إلى الوجود فى أوقاتها.
(٢) غرز غرائزها: أى جعلها غرائز والمراد أودع فيها طبائعها.
(٣) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادى.
(٤) أشباحها: أى أشخاصها.
(٥) أحنائها: أى مشتبهاتها.
(٦) الأجواء: أى الفضاء العالى.
(٧) سكائك الهواء: أى الهواء الملاقى عنان السماء.
(٨) التيار: الموج، والتراكم: ما يكون بعضه فوق بعض، الزخار: الامتداد – والارتفاع.
(٩) أمرها برده: أى منعها من الهبوط.
(١٠) سلطها على شده: أى وثاقه، وقرنها إلى حده: أى جعلها مكانا له، والفتيق: أى المفتوق.
(١١) اعتقم مُهبها: أى جعل عيوبها عقيما.
(١٢) ادام مربها: أى لازمها، وتصفيقه أى تحريكه.
(١٣) ساجيه: ساكنه، مائره: الذى يذهب ويجىء.
(١٤) عب عبابه: أى مرتفع علاه.
(١٥) المنفهق: المفتوح الواسع.
(١٦) مكفوفا: الممنوع من السيلان.
(١٧) الدسار: المسامير أو الحبال تشد بها ألواح السفينة.
(١٨) الثواقب: النجوم.
(١٩) مستطيرا: منتشر الضياء وهو الشمس.
(٢٠) الرقيم هنا اسم من أسماء الفلك سمى به لأنه مرقوم بالكواكب.
(٢١) صافون: قائمون صفوفا.
(٢٢) لايتزايلون: لايتفارقون.

لايغشاهم نوم العين. ولاسهو العقول ولافترة الأبدان. ولا غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وجبه والسنة على رسله. ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده. والسدنة لأبواب جنانه. ومنهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم. والمارقة من السماء العليا أعناقهم. والخارجة من الأقطار أركانهم. والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم. متلفعون تحته بأجنحتهم. مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة. لايتوهمون ربهم بالتصوير. ولايجرون عليه صفات المصنوعين ولايجدونه بالأماكن ولايشيرون إليه بالنظار[١].

• أخرج الطبرى (ج٤ ص٩) عن زيد بن وهب: أن علياً ﷺ قام فى الناس فقال: الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض وما أبرم لا ينقضه الناقضون! لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ولا تنازعت الأمة فى شىء من أمره، ولاجحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار فلفت بيننا فى هذا المكان، فنحن بربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره: ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هى دار القرار: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢] ألا إنكم لاقوا القوم غدا، فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين، ثم انصرف- انتهى.

• وأخرج أيضاً (ج٤ ص١١) عن أبى عمرة الأنصارى وغيره: أن علياً ﷺ حرض الناس يوم صفين فقال: إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تشفى بكم على الخير، الإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ذكره، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة فى جنات عدن، ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدارع[٣] وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس- فذكر الخطبة بطولها.

---

(١) نهج البلاغة: وهو ما جمعه السيد الشريف الرضى من كلام سيدنا على بن أبى طالب. شرح وتعليق الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا، المطبعة الرحمانية بمصر. الجزء الأول.

(٢) سورة النجم الآية ٣١.

(٣) الدارع: من عليه الدرع، والحاسر: من كان بلا درع أو بلا عمامة.

• وأخرج أيضاً (ج٤ ص٥٧) عن أبى الوداك الهمدانى: أن علياً ﷺ لما نزل بالنخيلة وآيس من الخوارج قام، فحمد الله وأثنى عليه! ثم قال: أما بعد! فأنه من ترك الجهاد فى الله وادهن فى أمره كان على شفا[١] هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله! وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله الخاطئين الضالين القاسطين[٢] المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء فى الدين، ولا علماء فى التأويل ولا لهذا الأمر بأهل فى سابقة الإسلام، والله! لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا وتهيأوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله- انتهى.

• وأخرج أيضاً (ج٤ ص٦٧) من طريق أبى مخنف عن زيد بن وهب أن علياً ﷺ قال للناس – وهو أول كلام قال لهم بعد النهر-: أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو فى جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى[٣] فى الحق، جفاة[٤] عن الكتاب، نكب[٥] عن الدين، يعمهون[٦] فى الطغيان ويعكسون فى غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا، وكفى بالله نصيرا. قال: فلاهم نفروا ولا تيسروا فتركهم أياما حتى إذا آيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذى ينظرهم فمنهم المعتل ومنهم المكره، وأقلهم من نشط فقام فيهم خطيبا فقال: عباد الله! ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم إلى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ وبالذل والهوان من العز، أو كلما ندبتكم[٧] إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فى سكرة،وكأن قلوبكم مألوسة[٨] فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه[٩] فأنتم لا تبصرون، لله أنتم ما أنتم إلا أسود الشرى[١٠] فى الدعة[١١] وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لى بثقة سجيس[١٢] الليالى، ما أنتم بركب يصال بكم ولا ذى عز يعتصم إليه، لعمر الله! لبئس حشاش الحرب أنتم، أنكم تكادون ولا تكيدون، ويتنقص أطرافكم ولا تتحاشون،

(١) حرف كل شيء وحده.
(٢) الظالمين.
(٣) جمع حيران.
(٤) جمع جاف.
(٥) جمع نكباء، أى المنحرفين عن الدين.
(٦) يتحيرون.
(٧) دعوتكم.
(٨) المألوس هو الذى اختلط عقله.
(٩) جمع اكمه وهو الذى اعترته ظلمة تطمس على بصره.
(١٠) مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.
(١١) الراحة.
(١٢) يقال لا آتيك سجيس الليالى، أى ابدا.

ولا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون، أن أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع[١] وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب. ثم قال: أما بعد! فإن لى عليكم حقا، وإن لكم علىّ حقا، فأما حقكم علىّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتأديبكم كى تعلموا، وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا انتزعوا عما اكره وتراجعوا إلى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون – انتهى.

• وأخرج ابن عبد البر فى الاستيعاب (ج١ ص٣١٥) عن عبد الواحد الدمشقى قال: نادى حوشب الحميرى علياً ﷺ يوم صفين، فقال: انصرف عنا يا ابن أبى طالب! فأنا ننشدك الله فى دمائنا ودمك، ونخلى بينك وبين عراقك، وتخلى بيننا وبين شامنا، وتحقن دماء المسلمين. قال على ﷺ: هيهات! يا ابن أم ظليم! والله! لو علمت أن المداهنة تسعنى فى دين الله لفعلت، وكان أهون علىّ فى المؤونة، ولكن الله لم يرض من القرآن بالسكوت والادهان، إذا كان الله يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله – انتهى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص٨٥) مثله.

* * *

(١) سالم وصالح وتارك العداوة.